قرية كترانج وأثرها العلمي في السودان

عز الدين الأمين

- ١ -

(أ) مقدمة :

ان كترانج (بضم الكاف وسكون التاء والنون) هى احدى قرى مديرية النيل الأزرق ، وتقع على الشاطىء الشرقى من النيل ، وعلى بعد ٣٦ ميلا من الخرطوم . ولهذه القرية تاريخ مجيد عريق ، وبخاصة فى مجال العلم ، فقد كان لمسجدها أثر علمى فى السودان لا ينكر ، وذلك ماشهدت به الوثائق والمؤلفات وشخصيات التلاميذ الذين تخرجوا فيه. ولعل كثيرين من أبناء السودان لاسيما شبابهم وجمهرة كهولهم ، لعل هؤلاء شغلتهم الحضارة السودانية المعاصرة ، بمدنها ومدارسها وجامعاتها فلم يحفلوا بالرجوع الى حضارة السودان القديمة احتفالا يدفعهم ليبحثوا عن المراكز التى انبثقت منها .... وأكبر العيب عندى فى ذلك هو أن التاريخ السياسى وحده هو الذى أصاب عناية لا بأس بها ، بل فى الحق ان معظم جهود الدارسين اقتصرت عليه . وأما التاريخ الثقافى فقد نسيه الناس وجهلوه ، ولم يحظ منهم الا بقدر يسير جدا من العناية . ولا تسل عن ضروب الدراسات التاريخية الأخرى ، فيكاد اهمالها يكون تاما .. وعليه فقد رأيت ان أتحدث عن هذه القرية التى ظلت دهرا طويلا تموج بطلاب العلم من شتى نواحى البلاد ، اذ كانت مركزا اسلاميا حيا يشع منه نور قوى على الآفاق بالسودان .

(ب) كترانج فى عهد النوبة المسيحية :

ان تاريخ كترانج المعروف ، يرجع لدولة النوبة المسيحية . وفى اسمها مايعقد الصلة بين وجودها التاريخى وبين العنج الذين كانوا يحكمون السودان فى عهد تلك الدولة. فمن الروايات عن أصل اسمها أنه أسم محرف من « قطر عنج » (١) ، فإذن هو فى أصله علم مركب تركيبا

(١) التربية فى السودان حـ ٣ ص ١٨ .

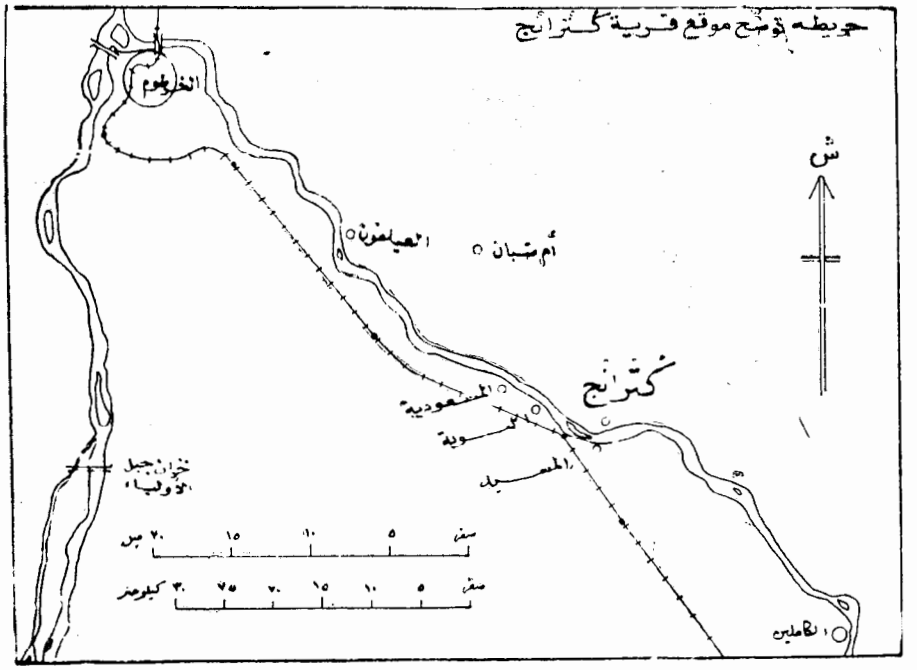

اضافيا ، وانه يحدد أنها كانت مسكنا من مساكن العنج . ويقولون فى تعليل ثان ان كلمة « كتر » بضم الكاف والتاء وسكون الراء ، تعنى « مكانا آخر » أو « جهة ما » أو نحو ذلك . أما « رانج » فهو اسم لأحد ملوك العنج ، ومازال الناس بالقرية يذكرون هذا الاسم ، ويروونه عن أسلافهم ، ويقولون ان « رانج» كان يسكن تلك المنطقة . ودليل ذلك أنه توجد الآن شمال القرية آثار تنسب اليه ، هى بقايا من « الطوب الأحمر » المتناثرة بكثرة ، والتى تشير الى الحياة التى كانت تقوم هناك . وأهل القرية يسمون هذا الموضع « الضنيقيلة » . وانى لأعتقد أن هذا المكان من الأماكن التى تستأهل عناية علماء الآثار ، فربما توصلوا فيه الى كشف تاريخى قيم .

أما عن ذلك المركب الاضافى الثانى « كتر رانج » فنقول انه ـ على ضوء هذا التعليل ـ يعنى « مكان رانج »أو « جهته » أو « ناحيته » مثلا ، ثم حذفت احدى الراءين للتخفيف ،كما سكنت التاء لنفس السبب ، فصارت « كترانج » بضم الكاف وسكون التاء والنون . وانى أضيف لهذين الاحتمالين فى تعليل اسمها ، أضيف أن أصله قد يكون

« كتر رانج » كما فى التعليل الثانى ، ولكن كلمة « كتر » هذه المرة نفسرها بمعنى « الكثرة » كما هى فى بعض معانى اللهجة المحلية بتلك الناحية ، و « رانج » هو أحد ملوك العنج كما ذكرنا . وعليه فقولهم « كتر رانج » تعنى مكان كثرة وتجمع أهل رانج أى مكان اقامته مع أهله وذويه وعشيرته ، ثم لحق الاسم الحذف والتسكين كما حدث فى التعليل السابق .

على أنى بعد هذه المحاولة لتعليل اسمها ، لابد أن أذكر أن أسماء البلدان يصعب أحيانا تعليلها ، أو هو يستحيل فى كثير من الأحيان . ولكن الذى لا شك فيه هو أن اسم « كترانج » له صلة واضحة بالعنج ، وفيه تحديد تاريخى لوجودها فى العهد المسيحى .

(جـ) كترانج فى عصر الفونج :

أما أهمية هذه القرية فى التاريخ القديم فيدل عليها ورود اسمها فيما كتبه بونسيه Poncet الفرنسى عن رحلته سنة ١٦٩٨ — ١٦٩٩ م من مصر الى الحبشة عن طريق السودان . وقد ذكرها بونسيه مع بلدان قليلة هى التى استرعت انتباهه دون سواها فى رحلته ، فرآها لأهميتها جديرة بالذكر ، ولذا فهو منذ أن ترك قرى والى أن بلغ سنار لم يذكر إلا خمساً من البلدان ، وكانت كترانج إحداها حيث قال : « ارتحلنا من قرى فى اليوم الاول من فبراير ، ونزلنا بالحلفاية ، وهى قرية كبيرة مبنية بالحجر المربع ، ورجالها طوال القامات معتدلو المزاج .

وبعد أن سافرنا نحو الشمال الشرقى (٢) لنتفادى منحنيات النيل العظيمة ، ومررنا بقرى العيلفون وكترانج والكاملين ، ثم عبرنا جزيرة عظيمة لم تكن موضحة فى خرائطنا ، بعد ذلك وصلنا الى مدينة أربجى حيث يوجد الكثير من المؤن ، وحيث جددنا نشاطنا . وقضينا الايام التالية فى عبور غابات السنط ذات الأشجار العالية الشائكة والمحملة بالزهور الصفراء والزرقاء . وهذه الأخيرة تفوح منها رائحة ذكية ، كما أن هذه الغابات ملأى بالأعشاب الليفية الصغيرة الخضراء ، وبنوع من دجاج الوادى ، وبعالم من الطيور الأخرى التى لاتعرف فى أوربا . وقد قادتنا هذه الغابات المبهجة الى سهول واسعة ، وخصيبة للغاية ، وبها زراعة جيدة .

---

(٢) الصواب « الجنوب الشرقى » .

وبعد أن استمرت بنا الرحلة بعض الوقت بدت لأعيننا مدينة سنار ، فسحرنا موقعها اللطيف .. » (٣) .

وقد تحدث الدكتور مكى شبيكة عن رحلة بونسيه هذه فقال : « وعند مرورهم بالحلفاية لاحظوا عمرانها واتساعها وأن بعض أبنيتها كانت بالحجر ، ويذكرون من القرى فى طريقهم جنوبا العيلفون وكترانج والكاملين (شرق) وأربجى عندما عبروا النيل إلى الضفة الغربية ، ولاحظوا بين أربجى وسنار غابات السنط الكثيفة بطيورها الفريدة ، وحطوا رحالهم فى مدينة سنار فى فبراير سنة ١٦٩٩ » (٤) .

وقد ورد ذكر كترانج أيضا فى رحلة كرمب Krump الألمانى عام ١٧٠١م فذكرها أيضاً مع بلدان قليلة كما فعل بونسيه قبله . وعن هذه الرحلة يقول شبيكة : «وعند مرورهم بالحلفاية وصفوها بأنها كبيرة وعامرة، وذكروا العيلفون وكترانج .... » (٥) .

ويقول كروفورد Crawford واصفاً لرحلة كرمب من القاهرة إلى سنار ، يقول : « بعد مسيرة اثنتى عشرة ساعة من العيلفون وصلوا كترانج على بعد عشرين ميلا منها .. » (٦) .

(د) كترانج فى العصر التركى :

ويبدو من أهميتها فى العصر التركى أن أحمد بن الحاج أبى على كاتب الشونة عندما كان يتحدث فى مخطوطته عن حملة الدفتردار بعد مقتل اسماعيل بن محمد على ، أورد اسمها باعتبارها علماً من الأعلام البارزة حيث قال وهو يتحدث عن الدفتردار : « ولما جاوز دار الجميعاب وضع يده بالقتل والخراب ، وخرب تلك المداين وعدم فيها القاطن والساكن » (٧) . ثم تحدث عن القتل والخراب بالمتمة وقال : « وصارت البلاد خرابا ، وارتحل نمر ومن معه الى الخلاء ، وقطع محمد بيك إلى الشرق ، ووضع ثانيا يده بالخراب ، فما ترى بها أنيسا ولا تسمع لها

---

(٣) The Red Sea and Adjacent Countries at the Close of the Seventeenth Century pp. 101—102.

(٤) السودان عبر القرون ط ثانية ص ٦٧.

(٥) نفسه ص ٦٩ .

(٦) The Fung Kingdom of Sennar, P. 219 .

(٧) مخطوطة كاتب الشونة ص ٩٢ .

حسيسا من حد شندى إلى كترانج » (٨) . وإننا حين نورد هنا هذا النص ، فلسنا نورده للحادثة التاريخية التى صورها انتقام الدفتردار لقتل إسماعيل ، ولكنا نورده لأن فى ذكر كترانج على هذه الصورة من التحديد مايدل على بروزها وشهرتها حتى أضحت معلماً وغاية ، وحتى كان اسمها يذكر الى جانب المتمة وشندى ونحوهما من بلاد السودان ذات التاريخ ..

ولهذه الحادثة رواية أخرى نجدها فى كتاب « تاريخ ملوك السودان » للشيخ أحمد كاتب الشونة والشيخ الزبير ولد ضوه والشيخ الأمين الضرير والشيخ إبراهيم عبد الدافع . وقد حقق هذا الكتاب الدكتور مكى شبيكة . والكتاب فى حقيقته نسخة أخرى من مخطوطة كاتب الشونة التى حققها الشاطر بصيلى مع وجود بعض الاختلاف بين النسختين . وفى هذا الكتاب يقول المؤلفون : « ولما بلغ محمد بيك الدفتردار قتل إسماعيل باشا وهو إذ ذاك بكوردفان واليا عليها فخرج من فوره ببعض من العساكر واصطحب معه بعضا من عساكر فور وتوجه إلى جهة الابواب ومازال يقتل وينهب إلى ان وصل المتمة ..» (٩). ويقولون : « ثم توجه إلى شندى فوجد الملك نمر قد هرب منها..» (١٠). إلى قولهم : « ثم توجه إلى العيلفون ومعه بعضا من عساكر فور فخرج إليهم أهالى العيلفون وناوشوهم القتال فلما وصل البيك المذكور قتل جميعهم وأحرق الحلة بالنار وسبى العبيد والأحرار ومنها توجه إلى ودمدنى بالشرق وكان ولد عجيب إذ ذاك مقيما بكترانج فلما بلغه ماحصل بالعيلفون خرج من كترانج بالخلاء ونزل بالقبة ومنها قطع إلى امدرمان بعساكره ... » (١١) . وأهمية كترانج فى هذه الرواية تتضح من ذكر إقامة ولد عجيب ملك العبدلاب بها ..

ومما نذكره عن كترانج فى العصر التركى أيضاً أن محمد على باشا ابان حكمه عنى بتعمير مسجدها وتجديده . وفى ذلك دليل آخر على أهميتها قديماً ، ودليل على أهمية مسجدها للدور الذى كان يقوم به، وللرسالة التى كان يؤديها فى عهد كان فيه الجهل يخيم على السودان قاطبة

---

(٨) مخطوطة كاتب الشونة ص ٩٢ .
(٩) تاريخ ملوك السودان ص ٢٤ .
(١٠) نفس الصفحة .
(١١) نفس الصفحة .

إلا من مثل هذا الضياء الذى كـــان ينبعث من مساجد قليلة، كان مسجد كترانج فى مقدمتها ، بل كان أبرزهـــا الفترة طويلة ...

وعناية محمد على باشا بهـــذا المسجد تثبته المكاتبة التى أرســـلها لحكمدار السودان فى هذا الشـــأن ،وهى من الوثائق المحفوظـــة فى قصر عابدين بالقاهرة ، وهذا نصها :

« وثيقة رقم ٩

دفتر ٤٠٨ صادر معيه سنيه

صورة المكاتبة رقم ١١١٠ بتاريخ٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٣

إرادة إلى حكمدار السودان

أطلعت على كتابكم العربى العبارة وما معه من الأوراق المؤرخ فى ١٣ محرم سنة ١٢٦٣ رقم ٥ الخاص بطلب بناء عشر حجرات لسكنى الفقراء وعمل سور للجامـــع الذى أنشىء فى قريـــة كترانج فى مديريـــة الخرطـــوم من الطوب النيىء وانه إذا عمل ذلك من الطوب الأحمر يكون أقوى وأمتن وان تكاليف ذلك تبلغ ثمانية آلاف قرش وقد وافقت إرادتنا على إقامة السور وبناء الحجرات المذكورة من الطوب الأحمر بمبلـــغ ثمانيـــة آلاف قرش وكتبنا لكم هـــذا الكتاب لتباشروا العمل » (١٢) .

ولابـــد أن نلاحظ أن ماورد فى مكاتبة محمد على باشا عـــن تجـــديد عشر الحجرات لسكنى الطلبة انمـــا يفسر القدر العظيم الذى كـــان يؤديه هذا المسجد فى تدريس العلم لأبنـــاء الســـودان وغيرهم حتى كـــان الأمـــر ـ لكثرتهم ـ يتطـــلب أن تعـــد لهـــم « الداخليـــات » كالحـــال فى عصرنا الحاضر . ولقد كان لأهـــالى القـــرية دورهم فى إيواء وتولى معيشـــة تلك الأعـــداد الضخمة مـــن الطلبة الذين كانت تكتظ بهم القرية ..

وهنا أرى ضرورة الوقوف عند مؤسس هذا المسجد ، وعند تاريخه من بعده ، فلأتحدث أولا عن :

(هـ) عيسى بن بشـــارة الأنصارى الخزرجى مؤسس مســـجد كترانج :

فأذكـــر أنـــه العلامة الأزهرى الذى ولد بالمدينة المنـــورة ، وينتهى نسبه الى الصحـــابى الجليل جـــابر بن عبد الله الأنصـــارى الخزرجى . وبالمدينة المنورة حفظ الشيخ عيسى القـــرآن الكـــريم ، وتلقى جانبا مـــن

---

(١٢) راجع نصها فى : التربية فى السودان حـ ٣ ص ٧٤ .

العلم ، ثم سافر الى مصر ليكمل تعليمه بالأزهر الشريف . وقد تفقه هناك على الشيخ زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٥ للهجرة (١٣) ، وعلى الشيخ محمد البنوفرى المتوفى سنة ٩٩٨ للهجرة (١٤) ، وكذلك على الشيخ برهان الدين بن أبى شريف وغيرهم ..

وقد جاء الشيخ عيسى إلى السودان فى أول القرن العاشر الهجرى بعد أن أتم تعليمه بمصر ، وكان بارعاً فى المذهبين الشافعى والمالكى ، كما كان نابغة فى العلوم المنقولة والمعقولة . وحين وصل إلى السودان نزل أولا عند قبيلة الجموعية ، وتزوج منهم عائشة بنت الملك سليمان النار آخر ملوكهم ، ثم رحل لناحية كترانج حيث تقيم طائفة من قبيلة رفاعة ، وكانت عرباً بدواً ، فأسس مسجده فى تلك الجهة ، ثم بنيت حول المسجد القرية القائمة الآن (١٥) .

وكان الشيخ عيسى يعلم القرآن وعلوم الدين فى هذا المسجد الى أن توفى فخلفه ابنه عبد الدائم . وظل هذا المسجد عامراً بدروس القرآن والعلم عبر خمسة قرون . وانه لبطيب لى هنا أن أذكر ـ وأنا بصدد الحديث عن اتصال التدريس به ـ أنى كنت فى بعض مراحل حياتى أحد تلاميذه إذ حفظت فيه قدراً من القرآن الكريم ، كما أنى ومعى أخواى محمد الأمير ومحمد أحمد كنا معاً ممن تلقوا فيه الدروس الدينية ، إذ تلقينا عن والدنا الشيخ الأمين عبدالرحمن (١٦) علم الميراث ، كما كان

---

(١٣) التربية فى السودان جـ ١ هامش ص ١٥١ .

(١٤) نفسه هامش ص ٦٣ .

(١٥) نفسه ص ١٨ وما بعدها ، وراجع ارشاد الساري ص ٨ وما بعدها .

(١٦) حفظ الشيخ الامين « محمد الامين » القرآن الكريم بمسجد المسعودية ، ودرس علوم الدين والعربية على والده الفقيه عبدالرحمن بن احمد البدوى بمسجدى المسعودية وكترانج ، ثم التحق بقسم المعلمين والقضاة بكلية غردون ، وتخرج فيه عام ١٩١٤م مدرسا بوزارة التربية والتعليم (المعارف سابقا) . وقد كان الى جانب تخصصه فى اللغة العربية والدين، كان مبرزا فى علم الرياضة حتى اشتهر بذلك بين زملائه فى الكلية ، وحتى كانت تضفى عليه فيها الالقاب ، وهذا ما انعكس على اجادته لعلم الميراث . ولقد كانت هذه الفرقة المتخرجة ذلك العام فى قسم المعلمين والقضاة ، كانت هى آخر فرقة تخرجت فيه اذ ابدلته الحكومة بقسم للتعليم المدنى الخالص . هذا وعندما انشئت مدرسة حنتوب الثانوية ، وكانت ثانية مدرسة ثانوية حكومية تنشأ بالسودان بعد مدرسة وادى سيدنا ، عند ذاك اختير الشيخ الامين ليعمل بها مدرسا للغة العربية والدين ، وليكون من مؤسسى هيئة التدريس بها . وبقى هناك حتى احيل الى المعاش فى نهاية عام ١٩٤٩م. ولقد كان ميلاد الشيخ الامين بقرية المسعودية ، وكانت وفاته بمستشفى الخرطوم يوم الاربعاء ٢٦ من يوليو سنة ١٩٦٧م عن تسعة وسبعين عاما . وقد نقل جثمانه الى قرية كترانج حيث دفن فى ←

أستاذنا الفقيه إدريس ابراهيم (١٧) يعلمنا الفقه . وكنا نتلقى هذه الدروس طوال فترات عطلاتنا المدرسية ونحن إذ ذاك طلبة بكلية غردون. هذا ومازالت حلقات العلم تعقد في هذا المسجد إلى اليوم ، ويتولاها الآن مدرس خاص معين من قبل مصلحة الشئون الدينية تقديراً منها لمكانة هذا المسجد التاريخية ، وليتصل النشاط العلمي به ، فهو مما يصدق عليه قوله تعالى :« **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين** » (١٨) .

← حجرة مجاورة لمسجدها مع جديه الفقيه مضوى بن مدنى واحمد البطران بن الفقيه مضوى ، ومع والده الفقيه عبد الرحمن واخيه الاكبر الشيخ شمس الدين . وجدير بالذكر انه كان فى حياته مشرفا على شئون هذا المسجد وعلى تعليم القرآن والعلم به ، كما انه جدد بناءه بالطوب الاحمر فى عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م فبدا حديث الطراز شاهق المئذنة ، وقد اشرت الى ذلك فى قصيدة رثيته بها حين قلت :

حطام تبقى فى النفوس نلمه ... وتحيا أبى فيما تبقى وتذكر
فريحك فى البيت وخطوك بين ... وصوتك مسموع وذا أنت تعبر
تشق طريقا بيننا حفه التقى ... الى الله تسعى للصلاة تبكر
الى مسجد الاجداد ما شدت صرحه ... تعالت بساحات له : الله اكبر

(١٧) الفقيه ادريس ابراهيم من اهالى محافظة كرن باريتريا ، وقد نزح للسودان مع بعض مواطنيه لطلب العلم ، واستقر بهم المقام بكترانج حيث درسوا على الفقيه عبدالرحمن بن احمد البدى . وبعد وفاة الفقيه عبدالرحمن عام ١٩٢٤م رحل الفقيه ادريس الى امدرمان مع من رحل اليها لتكملة دروسهم بمعهدها العلمى . وبعد ان نال الشهادة العالمية آثر الاقامة النهائية بكترانج ، وتزوج بها ، ولم يغادرها الا لفترة قصيرة عين فيها امامًا ومدرسا بمسجد سواكن . وفى خلال اقامته الطويلة بكترانج كان يدرس العلم بمسجدها ، وظل على تلك الحال حتى ادركته المنية بها فى اواخر الثلاثينات . وقد دفن بكترانج الى جوار الفقيه مصطفى بن عبدالدائم .

(١٨) آية رقم ١٠٨ من سورة التوبة .

ونضيف بعد إلى حديثنا عن الشيخ عيسى أن محمد بن عبد المجيد السراج (١٩) يروى (٢٠) أن بشارة الأنصارى والد الشيخ عيسى قدم أيضا من المدينة إلى السودان بعد ابنه عيسى ، وسكن بجزيرة كلومسيد (٢١) من بلاد دنقلا وتوفى هناك . ويروى السراج كذلك أن أخاً لبشارة الأنصارى اسمه على قد هاجر أيضا من المدينة إلى دنقلا ، ثم رحل منها إلى أبى حراز بمديرية النيل الأزرق ، وسكن أخيراً فى بلدة أربجى أمام الحصاحيصا إلى أن توفى بها ، وقد اعقب وأضحت له ذرية من بعده (٢٢) .

(و) ١ ـ وننتقل الآن لنستعرض بعضا من تاريخ مسجد كترانج بعد تأسيسه ففى ذلك مايثبت الوضع التاريخى لهذه القرية . هذا ومما فيه إشارة الى قدم مسجدها وشهرته حديث الدكتور عبد العزيز عبدالمجيد عن أن المساجد فى عهد الفونج كانت تبنى من القصب وفروع الأشجار أو من الطين . ثم قال : « ولهذا لم يبق فى السودان إلا النادر من مساجد ذلك العصر مثل مسجد مدينة سنار ومسجد كترانج ومسجد دنقلة

---

(١٩) عنى محمد عبد المجيد السراج بكثير من التحرى والدقة عند تأليف كتابه « ارشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الانصارى » ، فرحل الى منطقة بحثه ، واقام بها مدة ، اتصل فى اثنائها بالشيوخ الذين يحفظون هذا التاريخ ، ويروونه عن سلسلة اسلافهم العلماء . واهم من اخذ عنهم السراج هو المؤرخ الشيخ شمس الدين الحنفى بن عبد الرحمن احد احفاد عيسى بن بشارة ، ومن المؤرخين القلائل الذين يفهمون تاريخ السودان القديم فهما دقيقا ، كما انه من الذين اشتركوا فى وضع كتاب عن تاريخ السودان ، وكان تأليفه استجابة لطلب من الشريف يوسف الهندى ، والكتاب مازال مخطوطا وتحتفظ به اسرة الشريف يوسف ، وعسى ان ينشر قريبا حتى يستفاد منه . كذلك كان الشيخ الامين اخ الشيخ شمس الدين ، كان من اهم من اتصل بهم السراج ، وبخاصة فيما يتعلق بتوثيق الاجازات العلمية التى نقلها السراج عن كتاب « التربية فى السودان » للدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد ، فقد اطلع عند الشيخ الامين على الاصول المخطوطة لتلك الاجازات قبل ان تتسلمها مكتبة جامعة الخرطوم .

(٢٠) ارشاد السارى ص ٩ .

(٢١) كلومسيد فى اللهجة الدنقلاوية النوبية تعنى « مسجد الحجر » لان كلمة « كلو » معناها عندهم « حجر » وكلمة مسيد هى كلمة مسجد بعد قلب الجيم ياء . ومسجد الحجر هذا مازال قائما فى منطقة الزورات غرب النيل تجاه جزيرة أرقو . ويلاحظ الآن ان جزءا كبيرا من هذا المسجد يدخل فى مياه النيل . ومما يؤيد نزوح بشارة والد عيسى الى كلومسيد هو ان سكان منطقة الزورات الحاليين اكثرهم من الجابرية الذين ينتهى نسبهم الى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه ، ولقد ذكرنا قبلا ان نسب عيسى بن بشارة ينتهى كذلك الى جابر بن عبد الله . وكل ذلك يشير ايضا الى ان هذا الفرع من الخزرج نزح باعداد كبيرة من الاراضى الحجازية الى هذه الجهة ..

(٢٢) ارشاد السارى ص ٩ .

العجـــوز ، وهـــذه كلهـا رممـت مرات » (٢٣) . ومسجد كترانج من الناحيـة التاريخيـة تجعـله بعض الـروايات أول مســـجد أنشىء فى الســودان للصلاة والعلم معاً أى أنه كـان بمثـــابة أول معهـد دينى فى السودان ، وقد ذكـر هـذه الرواية الدكتور عبد العزيز عبدالمجيد (٢٤).

وهـذه الـرواية تجعلنا نعـود لما ذكره محمد ضيف الله حيث قال : « اعلم أن الفونج ملكت أرض النـوبة وتغلبت عليهـا أول القـرن العـاشر سـنة ٩١٠ عشر بعـد التسعمـائة وخطت مدينة سنـار خطـاها الملك عمـارة دنقس وخطت مدينة أربجى قبلها بثلاثين سنة خطـاها حجـازى ابن معين ولم تشـهر فى تـلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن . يقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهـاره من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود راجل القصير العركى من مصر وعلم النـاس العدة وسكن البحر الأبيض وبنى لـه قصراً يعـــرف الآن بقصر محمود » (٢٥) . وقـد جـاء كاتب الشونة بعد محمد ضيف الله ، فنقل عنه هـذه المعلومات (٢٦) ، ولكن فى نسخة باريس لمخطوطة كاتب الشونة والتى هى بعنوان « مخطـوطة تاريخ ملـوك الفـونج وأقـاليمه إلى حـكم سعيد باشا » ،نجد فيما أضافه كاتب هذه النسخة من ملحقات ، نجد رداً على القول بأنه لم تشتهر مدرسة علم ولا قـرآن قبـل محمود العـركى ، فيـذكر الملحق الأول (٢٧) أن هـذا الأمر ربما كان حادثاً فى جهـة البحر الأبيض ، أما الجهـة الشرقية فكـان فيها أولاد عون الله قبل عهـد الفونج وكان فيها ولد بندار أمـام الحلفاية وهو الذى قرأ عليه الشـيخ إدريس الأرباب ، كما كان هناك الشيخ أحمد ولد زروق فى مدة الشيخ البندارى ،وكذلك وصل إلى السودان علماء من بغـداد فى عهـد الخليفـــة هـارون الرشيد (٢٨) ، وهؤلاء جميعاً كمـا يقول ملحق نسخة باريس كانوا قبل محمود العركى .

وحين نقرن كـل ذلك بقـدوم عيسى بن بشـارة وتأسيسه لمسجـد كترانج ، نجد أن قدومه كان فى عهد الشيخ البندارى ومـن عاصره مـن العلمـاء . ذلك لأنـه قـدم فى أول القرن العاشر الهجرى كما مر علينا ، ويؤيـد ذلك ماذكـــره صـــاحب الطبقـات (٢٩) حين ذكر أن بركـات ابن حمد بن الشيخ إدريس قـد أخذ الفقـه عـن مضـوى بن مـدنى بن

---

(٢٣) التربية فى السودان جـ ١ ص ٨٦ و٨٨ وهامش ص ٨٨ .
(٢٤) نفسه جـ ١ هامش ص ٦٢ و جـ ٢ ص ١٨ .
(٢٥) الطبقات ص ٥
(٢٦) مخطوطة كاتب الشونة ص ٤ ـ ٥ .
(٢٧) نفسه : مقدمة الشاطر بصيلى ص (ك)، والمخطوطة ص ١٢٤ .
(٢٨) حكم هارون الرشيد من سنة ١٧٠هـ الى سنة ١٩٣هـ .
(٢٩) ص ٤٣ .

عبد الدائم بن عيسى . وفى موضع آخر فى ترجمة مضوى بن مدنى ذكر (٣٠) أن مضوى أخذ عن بركات التصوف . ويؤخذ من كل هذا أن مضوى وبركات كانا ندين حتى أخذ كل منهما ماعند أخيه . وبالرجوع إلى تسلسل نسبيهما إلى أعلى يكون الشيخ إدريس المولود سنة ٩١٣ للهجرة ، يكون نداً للفقيه عبد الدائم على وجه التقريب ، آخذين فى الاعتبار مايروى من أن الشيخ إدريس قد عمر طويلا وأنه توفى سنة ١٠٦٠هـ (٣١). وهذا الاستنتاج يطابق ماذكرناه من تاريخ حضور الشيخ عيسى بن بشارة للسودان ، وأنه كان فى أول القرن العاشر وفى أواخر عهد النوبة المسيحية . وعلى ذلك فالشيخ عيسى والذى هو والد عبد الدائم يكون معاصراً للشيخ البندارى أستاذ الشيخ إدريس وأضرابه من العلماء ، ويكون هؤلاء كانوا يدرسون فى وقت واحد وقبل محمود العركى ، ولكن الشيخ عيسى يختلف عنهم بإنشائه مسجداً له ، وبأنه جعله بمثابة معهد علمى ، وهذا مالم يذكر فى تاريخ معاصريه أو من سبقوه ....

وإنا لنقول بعد ذلك إنه لم تنقطع صلة علماء مسجد كترانج بالأزهر الشريف ، فقد كان الكثير من أحفاد عيسى بن بشارة يهاجرون أيضاً إلى مصر طلباً للعلم بالأزهر ، وقد حصلوا على إجازات عالية مازال قدر كبير منها موجوداً ومحتفظاً به الآن فى مكتبة جامعة الخرطوم . ومن هؤلاء الفقيه أحمد بن عيسى بن مضوى والفقيه أحمد البدوى بن محمد بن عيسى بن مدنى وابناه الفقيه محمد والفقيه عبد الرحمن . ولقد بقى الفقيه محمد بمصر بعد إتمام دراسته وعمل مدرساً بالأزهر إلى أن توفى هناك (٣٢) ، وسنعود للحديث عن إجازاتهم فيما بعد . ولقد كان كل من يعود إلى السودان من هؤلاء العلماء ، كان يجلس للتدريس بمسجد آبائه بكترانج .

٢ ــ ولا أريد فى هذا المقام أن استرسل فى تاريخ شخصيات هؤلاء العلماء (٣٣) ، ولكنى أضيف إلى ماذكرته عن قيامهم بالتدريس فى هذا المسجد ، أضيف أن بعضهم وضع مؤلفات فى علوم الدين وعلوم اللغة العربية ، وكانت هذه المؤلفات عبارة عن مذكراتهم لتلاميذهم . ومن هذه المؤلفات شروح بتعليقات للفقيه أحمد بن عيسى بن مضوى ، فقد شرح « جوهرة التوحيد » و « أم البراهين » ، وهما فى التوحيد ، كما شرح فى الفقه « العشماوية » ، وشرح فى النحو « الأجرومية » . وظلت هذه

---

(٣٠) ص ١٦١ .
(٣١) نعوم ص ٣٩٠ .
(٣٢) التربية فى السودان جـ ٢ ص ٦٢ والشعر الحديث فى السودان ص ١٧٣ .
(٣٣) يمكن الرجوع الى تاريخ هذه الشخصيات فى كتاب « ارشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الانصارى » .

الشروح مخطوطة منذ عهد الفونج حتى طبعت بعد المهدية وتداولها الناس . ومن تلك المؤلفات أيضاً مخطوط فى البلاغة للفقيه عبدالرحمن ابن أحمد البدوى ، وقد أسماه « فيض المنان فى بعض علم البيان » (٣٤) ،وقد فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م وذلك فى أثناء العهد التركى ، وسنفرد لهذه المؤلفات فصلا مستقلا إذ انها مع قيمتها تبين لنا مستوى الدراسة التى كان يحفل بها مسجد كترانج خلال تاريخه الطويل المشرق ، كما تبين لنا كيف كان يسود قرية كترانج جو علمى ممتاز ، وحضارة فكرية راقية ، كانت من أعظم تراثنا فى السودان . .

٣ ــ وأنتقل الآن لأذكر طائفة من تلاميذ هذا المسجد ، وممن اشتهروا فى السودان بعلمهم وورعهم وصلاحهم ، فآثارهم العلمية بالسودان امتداد لأثر مسجد كترانج العلمى . ومن هؤلاء على سبيل التمثيل ماجاء فى « أزاهير الرياض » من أن البشير بن مالك قد « قرأ القرآن هو واخوه صغيرون على الفقيه مصطفى (٣٥) الأنصارى الفاضل الشهير نزيل كترانج» (٣٦). والبشير المذكور هو والد الشيخ أحمد الطيب رجل أم مرح ومؤسس الطريقة السمانية بالسودان ومصر . ولقد ذكرنا كذلك من قبل ماجاء فى « طبقات محمد ضيف الله » (٣٧) من أن بركات بن حمد بن الشيخ إدريس الأرباب أخذ الفقه عن الفقيه مضوى ابن مدنى بن عبد الدائم بن عيسى . ومن تلاميذ مسجد كترانج أيضاً الشيخ محمد ولد بدر العبيد مؤسس مسجد أم ضبان والذى نشأت قرية أم ضبان حوله . ومنهم بدوى ولد أبى صفية المدفون بالأبيض والضو ولد الراجل فى أم عرق بكردفان وابراهيم عبد الدافع أول سودانى تقلد منصب الافتاء فى العهد التركى . ومنهم جميل الله القاضى الأول للمهدى ، ومحمد الأزرق بالصوفى الأزرق بالقضارف وهو من مجاذيب الدامر (٣٨) . وهؤلاء درسوا على الفقيه احمد ابن عيسى والد الفقيه إبراهيم مؤسس « مسيد ود عيسى » . ومن تلاميذ الفقيه أحمد أيضاً دفع الله بن شرف الدين العركى بأبى حراز الذى يتحدث عنه وعن دراسته ابنه الشيخ أبو القاسم وهو مشهور بمعرفته للروايات التاريخية ، يتحدث عنه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد سنة ١٩٤٠ م وكان الشيخ أبو القاسم فى ذلك العام قد ناهز الثمانين من

---

(٣٤) هذا المخطوط محتفظ به فى مكتبة جامعة الخرطوم .

(٣٥) هو الفقيه مصطفى بن عبد الدائم .

(٣٦) ازاهير الرياض ص ٢٦١ .

(٣٧) ص ٤٣ .

(٣٨) انظر رواية حفيده الشيخ عمر الازرق فى : التربية فى السودان جـ ٣ ص ٣٩ .

عمره ، وفى حديثه يقول « .....ثم بعد دهر طويل تكاسل الناس وتضاءل العلم وفشا فيهم الجهل حتى جاء الفقيه أحمد ود عيسى الأنصارى من مدة ١٦٠ سنة ، وهو صاحب المسيد ، جاء من مصر وقد أخذ كل العلوم على الشيخ والقطب الدردير (٣٩) . فلما حضر نشر كل العلوم بأنحاء السودان وأصبح كل جماعة فى المسيد تبنى خلوة وتسكن فيها حتى أن المسيد هذا كان يشتمل على نحو ١٦٠ خلوة . ومن ضمنهم والدى الذى كانت له خلوة هناك ، وهو الفقيه دفع الله . ولما مات الشيخ أحمد ود عيسى قام بالأمر من بعده ابنه الشيخ إبراهيم بن الفقيه أحمد عيسى » (٤٠) .

وهنا نستطرد لنذكر ما أورده إبراهيم فوزى عن الفقيه أحمد ابن عيسى فى كتابه « السودان بين يدى غردون وكتشنر » ، فهو يشبه ماذكره عنه الشيخ أبو القاسم بن دفع الله ، غير أن إبراهيم فوزى أخطأ خلال حديثه حين ذكر أن الشيخ الأمين الضرير تتلمذ له ، فى حين أنه تتلمذ لابنه الفقيه إبراهيم . فمما قاله إبراهيم فوزى : « ..... الشيخ احمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة فى صحبته وتلقى العلوم عليه ثم عاد إلى وطنه بالسودان وإليه ينسب انتشار العلم فى تلك الاقطار . وكان الشيخ أحمد بن عيسى بحراً زاخراً فى جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم راسخ فى الصلاح » (٤١) . ونضيف إلى ذلك انه عندما تحدث عبد الله حسين عن أشهر علماء السودان فى كتابه « السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية » (٤٢) ، ذكر من هؤلاء العلماء الفقيه أحمد بن عيسى ، كما ذكر دراسته على الشيخ الدردير ثم ذكر ابنه إبراهيم .

وكان من تلاميذ الفقيه أحمد كذلك حسن بن عبد الرحمن بن الشيخ صالح ولد بانقا الذى ذكر صاحب الطبقات أنه كان ممن درس عليه ألفية ابن مالك ، وقال عنه أيضا : « واستجاز كتب الحديث ومصطلحها بالمكاتبة صحبة الشيخ أحمد بن عيسى الأنصارى وغيره من الشيخ

---

(٣٩) ولد الشيخ الدردير سنة ١١٢٧ هـ وتوفى سنة ١٢٠١هـ بالقاهرة ـ انظر هامش ص ١٩٠ من : التربية فى السودان جـ ١ .

(٤٠) التربية فى السودان جـ ٣ ص ٢٤ ـ ٢٥ وراجع ص ٢٣ .

(٤١) السودان بين يدى غردون وكتشنر جـ ١ ص ٢٤٧ .

(٤٢) جـ ٢ ص ٥٠٥ .

أحمد الدردير (٤٣) والشيخ محمدالأمير (٤٤) والشيخ الشريف المرتضى (٤٥) .... » (٤٦) .

وتلمذة حسن بن عبد الرحمن الفقيه أحمد بن عيسى التى أثبتها محمد ضيف الله فى طبقاته ، تدعونا التساءل عن عدم ترجمة محمد ضيف الله للفقيه أحمد بن عيسى فى حين أنه ترجم لتلميذه . ونرى هنا ألا بد من الرجوع للروايات المختلفة التى تعلل ذلك ، ومنها ماورواه لى العالم المؤرخ الشيخ شمس الدين الحنفى (٤٧) حيث قال : إنه فى زمن آخر ملوك العبدلاب الشيخ ناصر بن الشيخ الأمين بن مسمار حدثت مناظرة فى مسألة فقهية بين الفقيه محمد الجبيل العمرابى (٤٨) تلميذ الفقيه أحمد بن عيسى وبين الفقيه محمد ضيف الله ، وكان الفقيه محمد ضيف الله قاضياً للشيخ ناصر ، فأمر الشيخ ناصر بالكتابة للأزهر واستفتائه فى تلك المسألة ، ولما جاءت الفتوى مطابقة لما قاله الفقيه محمد الجبيل فصل الشيخ ناصر الفقيه محمد ضيف الله من القضاء ، فأصبح فى نفس محمد ضيف الله شىء من أسرة الفقيه عيسى بن بشارة ، ولذلك عندما كتب طبقاته تغاضى عن تاريخ علماء هذه الأسرة ، ولم يترجم لأحد منهم إلا للفقيه مضوى بن مدنى ، ثم جاء ذكره عرضاً للفقيه أحمد ابن عيسى حين ترجم لتلميذه حسن بن عبد الرحمن ولد بانقا فيما مر بنا .

وهناك رواية أخرى غير هذه رواها لى الشيخ يوسف إبراهيم النور القاضى الشرعى سابقاً والمدرس الآن بكلية الدراسات العربية والاسلامية بأم درمان ، فنسب هذا التغاضى لخلاف حدث بين الفقيه محمد ضيف الله وبين بعض أفراد أسرة الفقيه أحمد بن عيسى وتلاميذه

---

(٤٣) مرت ترجمته هامش رقم (٣٩) .

(٤٤) الشيخ محمد الامير اصله من المغرب ولد سنة ١١٥٤هـ ـ ١٧٤٢م وتوفى سنة ١٢٣٢هـ ـ ١٨١٧م ـ انظر هامش ص ١٩٠ من : التربية فى السودان ج ١ .

(٤٥) هو محب الدين ابوالفيض السيد محمد مرتضى الزبيدى صاحب « تاج العروس من جواهر القاموس » .

(٤٦) الطبقات ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٤٧) ولد الشيخ شمس الدين بقرية المسعودية سنة ١٣٠١هـ وحفظ القرآن بمسجدها وتفقه على ابيه الفقيه عبدالرحمن بن احمد البدوى وقرأ ألفية ابن مالك على الشيخ العاقب الامين الرباطابى الذى كان مدرسا بالمعهد العلمى بامدرمان فى اوائل عهده ، وكان مشتهرا بالنحو ، وقد كانت اقامته بامدرمان . ثم التحق الشيخ شمس الدين بقسم المعلمين والقضاة بكلية غردون ، ولظروف خاصة لم يكمل دراسته به ، ولكنه تابع الدراسة غير النظامية فيما بعد ، كما كان يديم الاطلاع لاسيما فى التاريخ والفقه ، وكان الى ذلك ينظم الشعر ، وقد بدأ ينظمه منذ ان كان طالبا بالكلية . ولقد توفى يوم الاحد ٦ من ديسمبر ١٩٦٤م بمستشفى الخرطوم عن ثمانين عاما ودفن بكترانج ـ انظر هنا هامش ص ٤٧ رقم (١٦) وكذلك انظر هامش ص ٤٩ رقم (١٩) لموجز عن مكانته فى فهم تاريخ السودان .

(٤٨) توفى بكترانج سنة ١٢٣٣هـ قبل وفاة استاذه الفقيه احمد بن عيسى بثماني سنوات.

ومنهم محمد الجبيل ، وكان سبب الخلاف ـ فيما روى ـ هو نقدهم لما كان قد أعده محمد ضيف الله من كتابه بعد أن أطلعهم عليه . وقيل إنهم نقدوه لأسلوبه العامى وربما للمبالغات التى جاءت فيه ، فلم يرض ذلك محمد ضيف الله وأبعد من الكتاب تاريخ أسرتهم بعد أن دونه ..

ومع اختلاف الروايتين فهما تثبتان على أية حال أن محمد ضيف الله تعمد لسبب من الأسباب أن يحذف هذا التاريخ أو ألا يؤرخ لعلماء هذه الأسرة ـ مع شهرتهم ـ إلا بالقدر الذى ذكرناه .

ونعود للفقيه أحمد بن عيسى فنذكر أن بعض تدريسه كان بكترانج، كما كان بعضه بسنار ، ولذلك فإن بعض من درسوا عليه بكترانج انتقلوا معه إلى سنار (٤٩) حيث استدعاه ملك الفونج لعهده للاقامة بعاصمة ملكه ، ولاحياء دروس العلم بها ، فأقام هناك بقية حياته حتى توفى ودفن بسنار ، وأقيمت على قبره قبة ، واشتهر بـ « راجل سنار » . وقد جاء فى كتاب « إرشاد السارى » (٥٠) فى ترجمته ، وبعد ذكر دراسته بمصر ، جاء قول المؤلف « .... وعاد إلى وطنه كترانج واشتغل بالتدريس والتصنيف ونشر العلم والحضارة وإحياء السنة بمسجد جده، ورحلت إليه الطلبة ، ثم سافر إلى سنار المعروفة الآن بسنار التقاطع ، وأخذ ينشر العلم هناك بعد أن أناب عنه فى التدريس بكترانج ابنه إبراهيم وتلميذه محمد الجبيل العمرابى ... وقد كان اجتماع أحمد بن عيسى بسنار فى أماكن أعدها له ملوك الفونج ووزراؤهم الهمج ... وقد اجتمع بالأستاذ فى نفس الزمن عدد كبير من الجبرته من الحبشة يقرأون عليه العلم .... » . وعند وفاة الفقيه أحمد بن عيسى رثاه كثيرون منهم السيد / أحمد السلاوى قاضى بلاد السودان (٥١) ، ومنهم تلميذه الفقيه الصديق الجبرتى إمام جامع سنار فى عهد الفونج (٥٢) ، كما رثاه تلميذه إبراهيم عبد الدافع مفتى السودان بالقصيدة التالية التى يمكن أن نتخذها مثالا لما قيل فيه من رثاء ، والقصيدة هى (٥٣) :

بكى السماء وعم الأرض بالمطر ... بعد الكسوف لشمس العلم والقمر
والدمع سال على الخدين منحدراً ... كالسيب فى الديمة الهطلاء والنهر
وحل بالناس خطب لا نظير له ... بموت شيخ الهدى المحمود فى السير
شيخ السلوك وقطب الوقت مفرده ... إمام كل بنى سنار والقطر
علامة العصر مجد الدين ناصره ... بنشره الفقه طول الدهر والعصر

---

(٤٩) راجع : التربية فى السودان جـ ٣ ص ١٩ و ٣٤ و ٣٩ .
(٥٠) ص ١٧ ـ ١٨ ، وراجع : التربية فى السودان جـ ٣ ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٥١) راجع المرثية ص ١٠٢ من مخطوطة كاتب الشونة .
(٥٢) راجع المرثية ص ١٠٤ من نفس المرجع.
(٥٣) نفسه ص ١٠٣ .

كنز الهداية مصباح الولاية فى ... حضائر القدس من أهل الولا الخير
خلاصة السادة الأنصار زبدة من ... بث العلوم لدى الآصال والبكر
سراج أمة خير الخلق عمدتها ... وتاج عز ذوى العليا بلا نكر
معراج أرواح أهل الصدق سلمهم ... إلى طريق الهدى المحمى من ضرر
مهذب الخلق والأخلاق مرشد من ... لولاه آل به جهل إلى سقر
ملثم الرأس من وقت الشباب إلى ... سنى المشيب حياء منه فى العمر
مكاشف بغيوب ليس يدخلها ... شىء من اللبس بل باللحظ والنظر
بقية السلف الماضين صفوتهم ... وقدوة العارفين الأنجم الزهر
روح الحياة حياة الروح صحبته ... وراحة النفس فى رؤياه بالبصر
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت ... جيوش أسراره فى البدو والحضر
ختام مسك إن ارث العلوم حوى ... عن سيد الرسل خير الخلق والبشر
مكمل السر من كان الزمان به ... مجملا ومحلى الرأس بالدرر
والوقت كان ربيعاً والبلاد به ... مبيضة الوجه والأيام كالغرر
ومجلس العلم فى سنار كان به ... كالروض حين يرى فى أجمل الصور
والآن سين سهو البدر قد حذفت ... وعادت النار ترمى الناس بالشرر
مماته أفجع الدنيا بأجمعها ... وصير الابن والأصحاب فى كدر
لما نعاه لنا من جاء يخبر عن ... مصابه قيل هذا أعظم الكبر
وقيل هذا زمان الشر حان وقد ... بانت سعاد وهذا آخر الخير
الله أكبر من للناس يرشدهم ... والحكم لله كل الأمر عن قدر
ومن إلى السنة الغراء يحفظها ... من بعد حبر ذوى فى باطن الحفر
ماذا أقول وإنى عن محاسنه ... لعاجز وقصير الباع والنظر
نقر بالعجز لو كانت قصائدنا ... يمدها البحر والأقلام من شجر
الله يأجرنا فيه ويجلسه ... بمقعد الصدق فى الجنات والنهر
ويخلف الخلف النجل الذى ابتهجت ... به المدارس بعد الشيخ فى الأثر
ويسعد الجمع منا ثم يلحقنا ... بمعشر العلما فى كل مفتخر
ثم الصلاة وتسليم الاله على ... خير الورى أحمد المختار من مضر
والآل والصحب والأتباع ماذكرت ... بكى السماء وعم الارض بالمطر

هذا ونذكر ممن تلقوا علمهم بكترانج بعد الفقيه أحمد بن عيسى ، نذكر الشيخ الأمين الضرير رئيس ومميز علماء السودان فى التركية وعبد الله ولد أم مريوم جد أحمد الطاهر أول سودانى شغل منصب قاضى قضاة فى الحكم الثنائى . ومنهم محمد خوجلى ولد حتيك الخوجلابى (٥٤) آخر قاضى قضاة للسودان فى العهد التركى ، وكذلك منهم أبو الحسن ولد وتيد قاضى سوبا . وهؤلاء درسوا على الفقيه إبراهيم بن أحمد بن عيسى ، على أن بعضهم مع آخرين تابعوا دراستهم عليه بعد إنشائه

---

(٥٤) قتل بسيف المهدى ـ انظر التربية فى السودان جـ ٣ ص ٢١ .

« المسيد » وانتقاله إليه ، فالشيخ الأمين الضرير مثلا درس عليه بكترانج ثلاثة أجزاء من مختصر خليل ، ودرس عليه الجزء الرابع بالمسيد ، وفعل مثل ذلك فى سائر العلوم التى درسها عليه ..

ومن تلاميذ كترانج أيضاً محمد الأمين أبو شمال ومحمد التكينة ومحمود الخبير والضو بن الشيخ سلمان والحاج الطيب بن الشيخ محمد بدر العبيد ويوسف نعمة ومحمد أحمد المهدى . وهؤلاء درسوا على الفقيه الأمين الصويلح بن محمد بن الأمين بن عيسى بن مضوى . وعن دراسة المهدى بكترانج يقول الدكتور عبد الله الطيب متحدثاً عن الزبير باشا والمهدى ، يقول : « ولكن ولاة الخديوى غاب عنهم أن خطراً اكبر من الزبير يكمن فى خلاوى بربر والدامر والسروراب وكترانج حيث كان المهدى يتنقل فى طلب العلم والتصوف ..» (٥٥). ويقول الدكتور مكى شبيكه وهو يتحدث عن إقامة أسرة المهدى بكرى بعد ارتحالهم عن دنقلا ، يقول : « وكان من الطبيعى أن يدخل مدرسة القرآن أو الخلوة فى القرية التى يقيمون فيها ، ولكنها لم تطفىء ظمأه نحو العلم والقرآن ، بل رحل لغيرها فى الخرطوم ، ولثالثة فى كترانج وحفظ القرآن ، وفى الأخيرة بدأ يدخل فى درس العلوم الفقهية» (٥٦). ولقد كان المهدى يقيم أثناء دراسته بكترانج عند امرأة تعرف ببنت ولد سعيد ..

ومن تلاميذ مسجد كترانج أيضاً موسى ولد دليل الذى كان مفتياً فى العصر التركى ومحمد الأمين الهندى والد الشريف يوسف الهندى ، وهما ممن درس على الفقيه أحمد البدوى بن محمد بن عيسى بن مدنى بن مضوى .

ومنهم كذلك العباس بن الشيخ محمد بدر العبيد وأحمد ومحمد وبابكر أبناء الشيخ عبد المولى بالنيل الأبيض . ومنهم نور الهدى خليفة أولاد جابر بالجزيرة نسرى وأولاده ، وكذلك الطاهر وابنه أحمد الطاهر قاضى القضاة ومصطفى بن ابراهيم الدسوقى بن الحسن حفيد الشيخ أحمد الطيب رجل أم مرح والمدرس سابقاً بجامعة أم درمان الاسلامية (كلية الدراسات العربية والاسلامية الآن) .

وهؤلاء كانوا ممن درس على الفقيه عبد الرحمن بن أحمد البدوى . وقد ذكر لى الشيخ مصطفى بن ابراهيم الدسوقى أنه كان عازماً على السفر إلى مصر والالتحاق بالأزهر ، وأنه قد أعد العدة لذلك ؛ ولكن والده ثناه عن عزمه ، وأقنعه بأن العالم الأزهرى الفقيه عبد الرحمن بن أحمد

---

(٥٥) الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان ص ٥
(٥٦) السودان عبر القرون ص ٢٣٢ .

البدوى حجة فى علوم الأزهر جميعها،وهو يغنيه عن الهجرة لمصر ، وعنده يجد ضالته . ويقول الشيخ مصطفى هذا ما أقنعنى، فرحلت لكترانج حيث تلقيت العلم عن الفقيه عبد الرحمن ،وكنت به معجباً كل الاعجاب .

٤ ــ فرعا مسجد كترانج :

ولمسجد كترانج هــذا فرعان ،أحدهما « مسيد ود عيسى » والآخر مسجد السعودية . أما الاول فقــد أسسه الفقيه ابراهيم بن أحمد بن عيسى بن مضوى أحــد أحفاد عيسى بن بشارة . وقد جاء فى « إرشــاد الساري » (٥٧) فى معرض الحديث عن الفقيــه ابراهيم مايلى : « ولــد بعرفة فى حالة حج أبيه وأمه إلى بيت الله تعالى ، وتفقه على أبيه ، وكــان فقيهاً أصولياً نحوياً متكلماً واماماً فى المعقولات ، عارفا بالمعانى والبيان، أفنى عمره فى التدريس والارشــاد بمسجد جده بكترانج . وكان يساعده فى التدريس الفقيه أحمــد البدوى ،ورحلت إليهما الطلبة ، ثم رحــل الفقيه إبراهيم من كترانج إلى المكان المسمى الآن بالمسيد ، وترك الفقيــه أحمد البــدوى يدرس بكترانج تحت إشرافــه ، وبنى المسجد المســمى بالمسيد بالطوب الأخضر وذلك سنــة ١٢٥٦ للهجرة ، ودرس به .. »

هذا وكان الشيخ أحمد السلاوى قاضى قضاة السودان يزورالفقيه ابراهيم بكترانج فى أيام الجمع قادماً من الخرطوم ، ولكنه كان يجد مشقة فى عبور النيل بالمركب ، ولذا عرض على الفقيه ابراهيم فكرة إنشــاء المسجد الآخر حتى تســهل زيارته لهم ، وحتى يقوم هذا المسجد بدعم مسجد كترانج ، فراقت الفكرة الفقيه ابراهيم .. وقد استهدفت الفكــرة كذلك أن يعيش طلاب المسجد الجديد فى جو علمى منعزل عن حركة الحيــاة العامــة حتى ينقطعــوا للــدرس والتحصيل ؛ وذلك مثل مانجــده الآن فى بعض الجامعات ومعاهد العلم فى العالم الخارجى ، ومثل مانجــده عندنا فى السودان فى مدرستى حنتوب وخورطقــت الثانويتين وفى معهد التربية ببخت الرضــا بالدويــم وغيرها .. وحين أريد تحديد مكــان هذا المسجد بالضفة الغربية للنيــل الأزرق رأى الفقيه ابراهيم أن يتحرك المركب من شاطىء كترانــج وحيث يرســو على الشاطىء الآخر يقــام المسجد . وقد اقتضى الامعــان فى عزلة هذا المســجد العلمية أن يكون إعداد الطعام لطلابه بكترانج ، وأن ينقل إليهم منها عبر النيل كل يوم.. وقد مضت فترة طويلة على هــذه الحــال ..

وإنى لأذكــر هنــا أن مسجــد كترانج كان معروفاً فى زمن الفقيــه أحمد بن عيسى ب « مسيد ودعيسى» نسبة إليه ، وظــل محتفظاً بهــذا

---

(٥٧) ص ٢٠ .

الاسم حتى فى زمن ابنه الفقيه ابراهيم . ولما أسس الفقيه ابراهيم المسجد الآخر انتقل معه الاسم المنسوب لوالده ، وأصبح يطلق على المسجدين معاً ؛ ولكن مالبث أن اقتصر أخيراً على مسجد الفقيه ابراهيم دون مسجد كترانج . ولعل هذا يفسر لنا مايحدث من التباس حين يتحدث بعض المؤرخين عن « مسيد ود عيسى » بكترانج ، فيقولون « مسيد ود عيسى » بلاتحديد ، وعندئذ ينصرف ذهن القارىء أو السامع إلى مسجد ابنه الفقيه ابراهيم لأن الاسم كما قلنا قد اقتصر عليه آخر الامر .. ومن ذلك ماورد فيما رواه الدكتور عبدالعزيز عبد المجيد (٥٨) عن دراسة الشيخ محمد ولد بدر العبيد على الفقيه أحمد بن عيسى ؛ فروى أنه اخذ عنه فى المسجد « يريد فى المسيد » والذهن هنا ينصرف « المسيد » القائم الآن ، ولا ينصرف لمسجد كترانج . والحقيقة أن « المسيد » أنشىء بعد أن رحل الفقيه أحمد بن عيسى فى عهد الفونج من مسجده بكترانج إلى سنار ؛ بل أنشىء بعد وفاته هناك ، إذ توفى سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م (٥٩) ، وأسس ابنه «المسيد» سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م (٦٠) أى بعد خمسة عشر عاماً من وفاة والده ، وبعد عشرين عاماً من بداية الحكم التركى . وعليه يكون من المحقق أن الشيخ محمد بدر درس عليه بمسجد كترانج ، ولكن عبارة عبد العزيز عبد المجيد توحى بغير ذلك ..

ومثل هذا اللبس توقع فيه عبارة نعوم شقير حين تحدث عن دراسة المهدى فقال «ثم اشتغل بدرس العلوم الفقهية فأخذ عن الشيخ الأمين الصويلح فى مسجد ود عيسى بالجزيرة .. » (٦١) . وقد أوضحنا قبل ذلك أن المهدى درس على أستاذه هذا بكترانج ، وأنه كان يقيم مع امرأة تدعى بنت ولد سعيد ..

ولنعوم شقير عبارة أخرى توشك أن تزيل هذا اللبس ، فقد قال فى معرض حديثه عن العيلفون : «وإلى الجنوب منها حلة مسجد ود عيسى وفى مسجدها تلقى محمد أحمد المتمهدى بعض دروسه » (٦٢) . والواقع أن قرية كترانج ـ أى حلة مسجد ود عيسى كما كانت تسمى لفترة من الزمن كما مر ـ الواقع أنها تقع جنوب العيلفون ، وهما معاً على شاطىء واحد وهو الشاطىء الشرقى للنيل الأزرق . وأما قرية

---

(٥٨) التربية فى السودان جـ ٣ ص ٢٤ .
(٥٩) مخطوطة كاتب الشونة ص ١٠١ـ١٠٢ .
(٦٠) راجع : التربية فى السودان جـ ٣ ص ٢٠ ، وارشاد السارى ص ٢٠
(٦١) نعوم ص ٦٣٨ وانظر : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية جـ ١ ص ٢٢٤
(٦٢) نعوم ص ١١١ ـ ١١٢ .

المسيد الحالية ، فمع أنها تقع جنوب العيلفون إلا أنها على الشاطىء الغربى للنيل . وعبارة نعوم يفهم منها أن القرية المعنية هى قرية كترانج لا قرية المسيد ، لأن ذلك أقرب من أن نتكلف فى فهمها عبور النيل للضفة الأخرى لاسيما أن هذا التخريج يوافق الحقيقة بالنسبة لمكان دراسة الهدى ..

ومما نذكره هنا عن تأريخ مسجد قرية « المسيد » أن محمد على باشا قد جدد بناءه وجعله معهداً علمياً ، وخصص له راتباً شهرياً . وقد أمر بكل ذلك عند زيارته للسودان وكان حكمداره وقتئذ أحمد باشا المنيكلى (٦٣) . ولقد أعيد بناء هذا المسجد بعد ذلك ماعدا مئذنته فقد بقيت على حالها ، ولم تزل باقية منذ عهد محمد على إلى الآن .

والوثيقة الآتية ، والتى هى من محفوظات قصر عابدين بالقاهرة، تثبت ذلك الجانب التاريخى لهذا المسجد ، وهى صادرة بأمر من محمد على باشا إلى وكيل ديوان المالية ليكتب لحكمدار السودان لتقرير مايراه مناسباً لزيادة راتب المسجد كطلب الفقيه ابراهيم . ونص الوثيقة :

« وثيقة رقم ٧

صورة المكاتبة رقم ٣٤٣٢ بتاريخ ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٦٠ من شبرا .

إفادة إلى وكيل ديوان المالية .

أطلعنا على كتابكم الشريف المؤرخ فى ١٠ القعدة سنة ١٢٦٠ رقم ١٣٧ وفيه تقولون إن حضرة الباشا صاحب الدولة منظم أمور السودان قدم له الفقيه ابراهيم عيسى عريضة قال فيها إنه لما كان حضرة الخديوى فى السودان أنشأ مسجداً بموجب الارادة بناء على طلبه لتعليم العلم لمن يرغبون فيه وخصص له من الحكومة مائة وخمسون قرشا راتباً شهرياً ولكن أخذت الفقراء تكثر فلم يعد ذلك المرتب يكفى لمصروفات ذلك المسجد وأنه يريد علاوة شىء على ذلك المرتب وأنه يطلب أن ينظر فى هذا الطلب الواقع من الفقيه المذكور وإعلامه بالذى تحصل عليه الموافقة وأنتم اكتبوا لحضرة الباشا المومى إليه واسألوه عن مقدار من فى المسجد المذكور من الفقراء « الطلاب » واسألوه عن المقدار الذى يلزم ترتيبه بالنسبة لمقدار من هم فيه وأن يخصص هو مايراه موافقاً ويخبركم

---

(٦٣) عين احمد باشا المنيكلى حكمدارا للسودان فى رمضان سنة ١٢٥٩هـ / اكتوبر ١٨٤٣م، وعزل فى ذى الحجة سنة ١٢٦١هـ / ديسمبر ١٨٤٥م.

به لتوافقوا عليه فإذا جاءكم الجواب منه فاكتبوا لنا به كما يأمر بذلك حضرة ولى النعم » (٦٤) .

واما المسجد الثانى الذى تفرع من مسجد كترانج فهو مسجد المسعودية كما ذكرنا قبل ذلك . والمسعودية قرية تبعد عن الخرطوم بثلاثين ميلا ، وتقع على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق . وقد كانت نواة مسجدها « خلوة » للقرآن ، أسسها الفقيه أحمد البدوى بن محمد ، ثم فيما بعد أسس ابنه الفقيه بابكر (٦٥) المسجد المشار إليه بجانب تلك « الخلوة » ، وقام فيهما بتدريس القرآن والعلم . والفقيه بابكر هو أخ الفقيه عبد الرحمن الذى مر ذكره . وقد كان الفقيه عبد الرحمن يدرس احياناً فى مسجد أخيه هذا ، ومن ثم فقد كان من تلاميذه من درس عليه فيه وفى مسجد كترانج معاً ..

وبعد فهذا هو عرض لتاريخ قرية كترانج وتاريخ مسجدها ، وسألحقه إن شاء الله تعالى بحديث عن إجازات علمائها ومؤلفاتهم ، راجياً أن اكون قد أوضحت أهمية هذه القرية بما عرضت من تاريخ ، وأن أكون قد أبنت أنها حقاً كانت منارة للعلم فى السودان ، وانه كان لها فى ذلك أثر أى أثر ....

---

(٦٤) راجع نصها فى : التربية فى السودان جـ ٣ ص ٧٣ ، وانظر جـ ٢ ص ١٥، والشعر الحديث فى السودان ص ١٦٧

(٦٥) كان ميلاد الفقيه بابكر بقرية المسعودية سنة ١٢٥٩هـ ، وقد تفقه على اخيه الفقيه عبد الرحمن ، وسلك طريق الصوفية على الشيخ محمد ولد بدر العبيد ، وكانت وفاته بالمسعوية سنة ١٢٩٧هـ ودفن فى حجرة مجاورة للمسجد ، وقد دفن معه اخيرا ابنه الشيخ محمد الذى خلفه فى التدريس بمسجده وكانت وفاته سنة ١٣٧٥هـ عن تسعة وثمانين عاما .

مصادر ومراجع البحث :

١ ـ الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان : عبد الله الطيب ـ معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية ١٩٥٩

٢ ـ ارشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الانصارى : محمد بن عبد المجيد السراج ـ مطبعة النهضة السودانية بالخرطوم ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م

٣ ـ ازاهير الرياض فى مناقب الشيخ احمد الطيب : عبد المحمود نور الدائم ـ ط مكتبة القاهرة بالازهر بمصر

٤ ـ تاريخ ملوك السودان : تأليف وتنقيح احمد كاتب الشونة والزبير ود ضوه والامين الضرير وابراهيم عبد الدافع ـ حققه وعلق عليه واعده للنشر مكى شبيكه ـ مطبعة ماكوركودايل بالخرطوم سنة ١٩٤٧

٥ ـ التربية فى السودان ٣ أجزاء : عبدالعزيز امين عبد المجيد ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٤٩

٦ ـ جغرافية وتاريخ السودان : نعوم شقير ـ دار الثقافة ببيروت ١٩٦٧

٧ ـ السودان عبر القرون : مكى شبيكه ـ ط ثانية نشر دار الثقافة ببيروت .

٨ ـ السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية : عبد الله حسين ـ ط اولى ١٣٥٤/١٩٣٥ ـ المطبعة الرحمانية بمصر

٩ ـ الشعر الحديث فى السودان : عبده بدوى ـ مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

١٠ ـ كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر جـ١ : ابراهيم فوزى باشا ـ ١٣١٩هـ

١١ ـ كتاب الطبقات فى خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان : محمد ضيف‌الله بن محمد الجعلى الفضلى ـ نشر ابراهيم صديق ط اولى ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م

١٢ ـ مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية : احمد بن الحاج ابى على كاتب الشونة بتحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل ومراجعة محمد مصطفى زيادة ـ ط وزارة الثقافة والارشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة ـ سلسلة تراثنا .

13. The Fung Kingdom of Sennar by O.G.S. Crawford, C.B.E., F.B.A., Gloucester, Great Britain, 1951.

14. The Red Sea and Adjacent Countries at the close of the Seventeenth Century as described by Joseph Pitts, William Daniel and Charles Jacques Poncet — Printed for the Hakluyt Society, London 1949.